

نقش تجديدي مؤرخ لبئر محطة السعدية

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الثنيان *

توطئة : في عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، تم العثور على نقش تجديدي مؤرخ في الجزء العلوي من طي بئر محطة السعدية خلال قيام الباحث بأعمال المسح الأثري الشامل لمسارات دروب الحج الساحلية والتهامية الواقعة على أراضي المملكة العربية السعودية التي تصل بلاد اليمن بالأماكن المقدسة .

يعد هذا النقش من النقوش التجديدية المهمة في مجال الدراسات الأثرية والتاريخية والحضارية . ويمكن حصر أهميته وردها إلى سببين اثنين رئيسيين :

أولهما : أن نص النقش يتضمن تاريخ تجديد عمارة بئر محطة السعدية بأمر من أحد سلاطين مملكة الكارنتاك الهندية المسلمة ، سلطان الهند والآجاة محمد علي خان (ت ١٢١٠هـ ، ١٧٩٥م) . وعليه يعد نص النقش وثيقة تاريخية آثارية تبرز جهود السلاطين الهنود المسلمين ومدعمة لأعمالهم الخيرة والعديدة تجاه الأماكن المقدسة والمنافع والمرافق العامة الواقعة على امتداد الدروب البرية الموصلة إليها .

ثانيهما : الندرة في العثور على هذه النوعية من الآثار المادية الخطية - حسب علمنا الحاضر - على أراضي المملكة العربية السعودية عامة ، وعلى امتداد مسارات

* بكالوريوس في الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود عام ١٩٨٤م .

- دكتوراه - قسم الدراسات الشرقية بجامعة درم البريطانية عام ١٩٩٣م .

- يعمل الآن عضو هيئة التدريس في كلية الآداب - قسم الآثار والمتاحف .

دروب الحج البرية خاصة . وبهذا يمكننا القول : بأن هذا النقش المؤرخ لبئر محطة السعدية يعد النموذج والمثال الأول الفريد من نوعه الذي يثبت ويؤرخ مشاركة السلاطين الهنود المسلمين في عمارة وتطوير المنشآت المائية على دروب الحج القادمة من جنوب الجزيرة العربية .

ووفقاً للدراسات الأثرية الأخيرة ؛ فإن أراضي المملكة العربية السعودية تشتمل على أمثلة قليلة جداً تدل على وفرة النقوش التأسيسية أو التجديدية للآبار المنشأة في الفترات التاريخية القديمة التي سبقت ظهور الإسلام أو بعد ظهوره . وتشير هذه الدراسات الأثرية الحديثة إلى العثور على حجر تأسيس لبئر واقعة في المنطقة السكنية من قرية الفاو الأثرية . أما ما يخص الفترة الإسلامية فقد كشف عن نقش تأسيسي مؤرخ لبئر الواردة في محطة المويلح الواقعة على مسار طريق الحج المصري الساحلي . ويدل هذا النقش التأسيسي ، المنفذ نصه بخط الثلث ، إلى أن البئر تم حفرها عام ٩٦٧هـ (١٥٦٠م) بناءً على أمر أمير قافلة الحج المصرية ، عثمان بن أرذمير باشا ^(١) .

ويجدر بنا ، قبل الشروع في التحدث عن المحتوى الكتابي للنقش ، إلقاء بعض الضوء على محطة السعدية من خلال علاقتها الجغرافية بدروب الحج التهامية والساحلية ^(٢) ، ومدى أهميتها المكانية .

(١) للمزيد من المعلومات حول هذه الأمثلة ، انظر : غبان ، علي . "نقش غير منشور من بلدة المويلح" دراسات في الآثار -

(الرياض ، ١٩٩٢م) ، ص ٣٠٥ - ٣٣٠ . غبان ، شمال غرب المملكة العربية السعودية : بحوث في التاريخ والآثار -

(الرياض ، ١٩٩٣م) ، ١٠٢ - ١٣٦ . غبان ، "النقوش العثمانية الباقية على عمائر طريق الحج الشامي والمصري في

شمال غرب المملكة" ، أعمال المؤتمر الثاني لدونة الآثار العثمانية في العالم (تونس ، ١٩٩٨م) ، ص : ٢٠١ - ٢٤٢ .

(٢) للمعلومات عن الدروب جميعاً ، انظر :

al-Thenayian, M. Archaeological Study of the Yemeni Highland Pilgrim Route between San'a' and Mecca, (Ph. D. thesis, University of Durham, 1993), Vol. 1, pp. 68 - 79 .

محطة السعدية :

تحدث معظم الجغرافيين العرب المسلمين الأوائل عن يللم (١) بصفتها ميقناً ومحطة للحجاج في ثنايا أعمالهم الخالدة عن شبكة طرق الحجر البرية في الجزيرة العربية ، وفي سياق تعرضهم لمسارات طرق الحج التهامية ومحطاتها ومنازلها على وجه الخصوص ، من أمثال : أبي إسحاق الحربي (٢) (ت سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) ، وعبيدالله ابن خرداذبة (٣) (ت: ما بين سنة ٢٧٢ - ٣٠٠هـ / ٨٨٥ - ٩١٢م) ، والهمداني (٤) (ت : سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م تقريباً) وغيرهم من الجغرافيين المسلمين المبكرين ، (انظر : اللوحة رقم (١) ، واللوحة رقم (٢) ، واللوحة رقم (٣) .

يشكل الموقع الجغرافي لمحطة السعدية ، الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة على مسافة تصل إلى ١٠٠ كم تقريباً ، النهاية الجنوبية لوادي يللم ؛ ولذلك نجد إن هذا الجزء من الوادي بالذات يطلق عليه مسمى وادي السعدية في بعض المصادر والمراجع المتأخرة (٥)

(١) بالإضافة إلى مسمى وادي يللم ، فإنه يدعى وادي المحرم . انظر : ابن الجاور ، يوسف بن يعقوب . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة تاريخ المستنصر - (لیدن ، ١٩٥١م) ج ١ ، ص ٥٢ . تشير المصادر المتوافرة بأن ليللم أكثر من تهجئة ، وهي على سبيل المثال لا الحصر : ألملم ، وإلملم ، وللم . راجع : البلادي ، عاتق بن غيث ، معالم مكة التاريخية والأثرية (مكة ، ١٤٠٠هـ) ، ٣٢ ، ٣٢٨ . ينبع وادي يللم من المناطق الجبلية الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة الطائف وينتهي في البحر الأحمر . لمزيد من المعلومات حول هذا الوادي ، انظر :

al-Zaylai, Ahmad, The Southern area of the Amirate of Mecca, 3rd - 7th/ 9th- 13th centuries : its history, archaeology, and epigraphy (Ph. D. thesis, Durham, 1983), pp. 488 - 490.

(٢) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة - (الرياض ، ١٤٠١هـ) ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

(٣) كتاب المسالك والممالك - (لیدن ، ١٨٨٩م) ، ص ١٤٨ .

(٤) صفة جزيرة العرب - (الرياض ، ١٣٩٤هـ) ، ص ٣٤١ .

(٥) البلادي ، عاتق . بين مكة واليمن ، ص ٣٥٩ . البلادي ، عاتق - معجم معالم الحجاز - (مكة ١٤٠٤هـ) ، ج ٧ ، ص ٢٠١ . تذكر المصادر المتاحة إلى أن هنالك أكثر من موقع ومنهل في جزيرة العرب يحمل اسم السعدية لمعرفة ذلك ، انظر : الأصفهاني ، الحسن . بلاد العرب - (الرياض ، ١٣٨٨هـ) ص ٥٣ - ٥٤ . ياقوت ، معجم البلدان - (بيروت ١٩٥٥م) ج ٣ ، ص ٢٢١ .

نسبة لاسم المحطة التي يذكر أنها سميت بهذا الاسم تيمناً باسم الشريف سعد أحد ولاية مكة المكرمة . ونتيجة لذلك يلاحظ حصول بعض الالتباس والتداخل في المعلومات التي تتحدث عن وادي يللمل والخلط بين اسمه وموقعه الجغرافي ومسمى وموقع هذه المحطة ، بالرغم من أن مسمى السعدية يبدو أنه لم يعرف إلا في منتصف القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) . ووفقاً للمصادر المتاحة ، فإن أول ذكر للمحطة بهذا الاسم (السعدية) - حسب علمنا الحالي - ورد في مخطوطة تركية غير محققة ^(١) ترجع إلى عام ٩٧١هـ ، (الموافق لعام ١٥٦٣م) . وخلال المدة التاريخية ذاتها يبرز ذكر اسم السعدية كمحطة رئيسة لاستراحة العساكر العثمانية وولاية اليمن من العثمانيين من خلال فعاليات ترحالهم من اليمن إلى مصر عن طريق درب الحج التهامي الساحلي ^(٢) . كما أنه تمت الإشارة إلى هذه المحطة باسم السعدية بصفتها محطة رئيسة للحجاج في مخطوطة يمنية غير محققة ترجع إلى عام ١٢٤١هـ ، (الموافق لعام ١٨٢٥م) ^(٣) . وبالرغم من وجود هذه الإشارات ؛ إلا أنه لم يزل الغموض يكتنف مناحي عديدة من تاريخ المحطة ومرده - في رأينا - إلى النقص الحاصل في المدونات التاريخية المتاحة في الوقت الراهن . ونخلص من هذا الاستعراض الموجز إلى الآتي : أننا عندما نتحدث عن وادي السعدية ومحطته فإننا في الحقيقة نقصد القسم الجنوبي من وادي يللمل بما يشتمل عليه حوضه ومجره من محطات ومنازل تتمثل غالباً في المناهل المائية والمكونة بذلك مساراً طبيعياً للجزء

(١) تحمل هذه المخطوطة التركية عنوان منازل الحج من الشام إلى مكة . من تأليف مصطفى باشا وترجمها إلى اللغة العربية حسين بن ملا شمس ، والمخطوطة محفوظة في مكتبة عارف حكمة في المدينة المنورة تحت رقم : ٢٨٦ . انظر : الجاسر ، حمد . في شمال غرب المملكة - - (الرياض ١٤٠١هـ) ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٢) انظر : النهر والي ، قطب الدين محمد . البرق اليماني في الفتح العثماني - - (الرياض ، ١٩٨٨م) ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٤٥ .

(٣) جفمان ، إسماعيل بن حسين . كتاب نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنهي الأثور ، (مكتبة الجامع الكبير في صنعاء) ورقة : ١٠ - ١٣ .

الشمالي من درب الحج التهامي الذي يصل بلاد اليمن بالأماكن المقدسة . يحتوي مجرى البطن الرئيس لوادي يللم على أربع آبار كانت تشكل في الماضي محطات استراحة ومناهل مائية للحجاج^(١) . فبالإضافة إلى بئر السعدية ، توجد بئران تعرفان حتى وقتنا الحاضر باسميهما القديمين ، وهما : بئر أدام^(٢) وبئر البيضاء . وتذكر المصادر بأن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قام بأمر تأسيس وحفر بئر أدام . وفيما بعد ، في القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) ، قام القائد الزيايدي الحسن بن سلامة (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) بعمل بعض التجديدات على الهيكلية المعمارية للبئر نفسها . هذا إلى جانب قيامه - أيضاً - بالأمر بحفر وطي ثلاث آبار أخرى بالوادي نفسه، وهي : بئر الرياضة^(٣) وبئر يللم وبئر البيضاء^(٤) . وكما أشرنا سابقاً ، فإن جميع مواقع هذه الآبار معروفة ومتعارف على أسمائها الآن عند السكان المحليين في المنطقة ما عدا الموقع القديم لبئر يللم بالذات . ويبدو لنا أن الموقع الحالي لمحطة السعدية ببئرها لا يعدو إلا أن يكون هو الموقع القديم لمحطة يللم المشهورة المنصوص عليها في السنة المطهرة بصفته ميقاتاً للحجاج القادمين إلى مكة المكرمة عن طريق دروب الحج التهامية والساحلية .

تتكون محطة السعدية ، في وقتنا الراهن ، من مسجد حديث وبئرها المحتوي طيها على النقش التجديدي ، موضوع هذا البحث . يقع المسجد على الضفة الشمالية الغربية للوادي وتم تشييده في البقعة القديمة نفسها لمسجد المحطة .

(١) راجع : الأصفهاني بلاد العرب ، ص ٣٧٥ . البكري ، أبو عبيد الله . معجم ما استعجم - . (القاهرة ، ١٩٤٩م) ج ١ ، ص ٣٦٨ ، ج ٤ ، ١٣٩٨ . ياقوت . البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٤١ .

(٢) تشير المصادر والمراجع المتوافرة أن أدام يحمل أكثر من تهجئة ، وهي على سبيل المثال لا الحصر : الأدمة ، ويدم ، وأيدام ، وأدمة . انظر : ابن الجاور ، جمال الدين . صفة بلاد اليمن ، ج ١ ، ص ٥٢ . البلادي ، عاتق ، معجم ، ج ١ ، ص ٧٥-٧٦ .

(٣) تقع الرياضة إلى الجنوب من مدينة الليث . انظر : البلادي ، عاتق . بين مكة واليمن ، ص ٣٥٩ .

(٤) حول جهود هذا القائد الزيايدي في مجال عمارة دروب الحج اليمانية ، انظر : عمارة ، نجم الدين . تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزيد - . (صنعا ، ١٩٨٥م) ، ص ٧٢ . وانظر أيضاً :

بئر السعدية :

يطلق الآن اسم السعدية على بئر وواديها . هذا ولا تتوافر أوصاف جغرافية تفي بالغرض لهذه المحطة في المصادر العربية الإسلامية المبكرة . ويستثنى من ذلك ورود وصف للمحطة وبئرها في مخطوطة يمنية متأخرة غير محققة للفقير اليمني إسماعيل بن حسين جفمان ^(١) (ت : ١٢٥٦هـ ، ١٨٤٠م) الذي قام في عام ١٢٤١هـ ، ١٨٢٥م بتأدية فريضة الحج . وبناءً على مشاهداته الميدانية ورؤيته الشخصية للمحطة أورد إسماعيل جفمان في مخطوطته المشار إليها ما يلي : " .. وارتحلنا إلى السعدية وكان وصولنا السعدية بعيد الفجر يوم السبت ولم يكد يمر بنا في المراحل أطيب منها ولا أروح للقلوب وفيها بئر عظيمة عذبة الماء بناها بعض السلاطين وقيل إن أصلها حفرة أمير المؤمنين (...) وفيها جبل للتعريس شرقي البير ومسجد عال على أكمة (...) . وقد رأينا أيضاً [أهل] القرى المحيطة بها يأتون إليها للاستسقاء وسقي الأنعام ولم يكد يظهر عليها نقص قط مع أنهم يحيطون بها من جميع الجوانب ويلقون إليها الدلاء نحواً من ثلاثين دلواً (...) وكان بقاؤنا بها إلى بعيد عصر يوم السبت أو صلينا العصرين وأحرمانا من ذلك المسجد العالي (...) وبعد تمام إحرامنا رحلنا من السعدية قاصدين البيضاء . كان عزمنا من السعدية بعد العصر يوم السبت ووجدنا بعد العزم منها مسجد أعلى سقف بجانبه بئر بقرب السعدية قيل والله أعلم إنها علامة يللم ^(٢) ."

حفرت بئر السعدية في بطن الوادي ، وقد تم - في الآونة الأخيرة - تشييد فوهة دائرية الشكل للبئر باستخدام الأحجار الجرانيتية المكسية بمادة الإسمنت وترتفع عن سطح الأرض بمقدار ١,٥م تقريباً . ويبلغ قطر الفوهة مترين أما عمق البئر فيصل إلى حوالي ١٧م . طويت البئر بأكملها بالأحجار المحلية المهذبة مع استخدام الطين والرماد كمادة رابطة

(١) عن حياته وسيرته ، انظر : زيارة ، محمد . نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر - . (القاهرة ،

١٣٤٨هـ) ، ج ١ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .

(٢) جفمان . نيل الوطر ، ورقة ١١ .

للكتل الحجرية . وخلال زيارتنا للموقع كانت البئر تستخدم من قبل السكان المحليين وتجود بالمياه الصالحة لسقي الأنعام ، هذا وكان عمق الماء في البئر يصل إلى حوالي ١,٥ م . لم يلاحظ وجود إنشاءات أثرية قديمة في المحيط الجغرافي القريب من هذه المنشأة المائية .

النقش التجديدي :

تم تثبيت لوح النقش المعمول من الرخام باستخدام أربعة مسامير حديدية في الجزء العلوي من الطي الحجري للبئر وعلى عمق يصل إلى حوالي ٣,٥ م من قمة الفوهة . وبسبب هذا العمق لم يتمكن - للأسف الشديد - من الحصول على مقاسات اللوح الرخامي أو مساحة النص الكتابي للنقش . يحتوي النص على خمسة أسطر نفذت جميعها بخط الثلث. وتم تضمين كل سطر من سطور النص داخل إفريز بيضاوي الشكل (خرطوشه) أما النص بأكمله فقد ضمن داخل إطار مستطيل الشكل . يتضمن النص علامات الإعجام من النقط والشكل ؛ إلا أنه يخلو من العناصر والوحدات الزخرفية ، (انظر: اللوحة رقم (٣) . يظهر على سطح اللوح الرخامي المنقوش آثار طمس لبعض الحروف ، إلى جانب بعض البقع الملحية البيضاء اللون المنتشرة هنا وهناك على مساحة النص . كما يلاحظ وجود إنكسارين عميقين في اللوح أديا إلى فصل بعض الحروف وتداخل بعضها فوق بعض . وبصرف النظر عن وجود بعض الحروف والكلمات غير الواضحة تماماً في السطر الأول وفي نهاية السطر الثاني ، فإن النص - إجمالاً - متكامل ومقروء وجيد التنفيذ .

نص النقش التجديدي :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - هذا بئر العلم من تعمير

٣ - سلطان الهند والآجاه

٥ - صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم سنة ١٢١١

التعليق :

يبدأ النص بالبسملة (سطر : ١) وينتهي (السطر رقم : ٥) بالدعاء المأثور المحتوي على الصلاة والتسليم على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وآله وصحبه الكرام الطيبين (رضوان الله عليهم أجمعين) . يتبع هذا الدعاء ، في نهاية السطر الخامس ، تاريخ تجديد البئر وهو سنة ١٢١١هـ (الموافق لعام ١٨٣٣م) .

أما السطور الأخرى الباقية (سطر : ٢ ، ٣ ، ٤) فتحتوي على صلب موضوع النقش وأتت عناصره متسلسلة كالتالي : السطر الثاني يشمل التعريف باسم المنشأة ونوع المشروع (هذا بئر العلم من تعمير) ، أما السطر الثالث فيحتوي على اللقب الكامل لصاحب المشروع (سلطان الهند والآجاه) . يليه ذكر اسم صاحب المشروع في السطر التالي، السطر الرابع ، مختتماً بالترحم عليه ، (محمد علي خان رحمه الله) .

يحتوى نص هذا النقش على بعض الكلمات والمصطلحات التي تحتاج إلى بعض التوضيح ، وهي كالتالي :

العلم (سطر : ٢) : يلاحظ إن أجزاءً من حروف هذه الكلمات نالها شيء من الطمس نتيجة للانكسار العمودي في اللوح الرخامي الذي سبقت الإشارة إليه . الأمر الذي أدى في البداية ، بطبيعة الحال ، إلى مواجهة بعض الصعوبة في قراءتها على الوجه المطلوب ؛ إلا أننا تجاوزنا هذه الصعوبة ونعتقد جازمين بأن قراءتنا الحالية لهذه الكلمة صحيحة لا غبار عليها حيث إن هذه المحطة تعد ميقاتاً للحجاج والميقات عادة ما يكون واقعاً بين أرض الحل وأرض الحرم ؛ لذا فالمحطة علم ومعلم لذلك الفصل الجغرافي بين الحل والحرم . ووفقاً لما ذكره ابن منظور فإن كلمة "علم" مرادفة لكلمة "منار" . ويضيف قائلاً : "... ويقال لما يبنى في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق : أعلام ، واحداها علم . والمعلم : ما جعل علامة وعلماً للطرق والحدود مثل أعلام الحرم ومعالمه المضروبة

عليه (...) والعلامة والعلم الفصل يكون بين الأرضين . والعلامة والعلم : شيء ينصب في القلوات تهتدي به الضالة ^(١) .

سلطان الهند (سطر : ٣) : تم اشتقاق كلمة سلطان في الأصل من اللغة الآرامية . وأول استخدام للكلمة كان في العصر العباسي . هذا ، ولا تزال الكلمة شائعة الاستخدام الآن ومتعارف عليها ومعمول بها . والسلطان في اللغة تأتي بمعنى القهر . ومن ضمن المعاني لكلمة "سلطان" : الحجة والبرهان ^(٢) . وهكذا ، فإن هذا اللقب ، سلطان الهند ، يدل على أنه لقب تشريفي لمحمد علي خان أكثر مما أنه لقب معنوي ، ويقصد به أن الشخصية المذكورة في النص قد قدم من الهند وهو واحد من سلاطينها .

والآجاء (سطر : ٣) كلمة أردية قديمة الاستخدام تعني : سعادته أو صاحب السمو والرفعة . وهي في الأصل كلمة عربية ترجع إلى الجذر (جاه) الذي يدل على : الواجهة ورفعة المنزلة والقدرة عند السلطان ^(٣) .

يعد هذا النقش التجديدي مهماً جداً نظراً لاحتواء نصه على اسم الحاكم السادس لمملكة كارتاكا الهندية المسلمة ، محمد علي خان .

مملكة كارتاكا الهندية المسلمة :

تقع مقاطعة كارتاكا في الطرف الجنوبي من القارة الهندية . وبعد تمكن المسلمين في عام ٩٧٢هـ ، ١٥٦٤م من الاستيلاء على أراضي فيجيارناقارا كارتاكا ، أطلقوا على أراضيها وهضابها وساحلها الشرقي مسمى "كارناتك" التي تعني في الأصل الأراضي المائل لونها إلى اللون الأسود . وهي صفة طوبوغرافية تنطبق بشكل أو بآخر على الأجزاء الجنوبية من هضبة الدكن . قام سعادات الله خان (ت : ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م) بجعل مدينة

(١) لسان العرب - (بيروت ، ١٣٠٠هـ) ج ١٢ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٢) انظر : الباشا ، حسن . الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار - (القاهرة ، ١٩٧٨م) ص ٣٢٣ - ٣٥٧ .

(٣) ابن منظور لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ٤٨٧ . انظر : الأعظمي ، محمد . المعجم الأعظم - (كراتشي ، ١٩٤٦م) ج ١ ،

أركات عاصمة لمملكة كارنتاك . وأمر ببناء جامعها العظيم الذي يضم رفاتة . أما بعد التدخل الأوربي في جنوب الهند ، فإنهم ، عن طريق الخطأ ، قاموا بإطلاق المسمى نفسه "كارناتك" على الأراضي الساحلية الشرقية فقط ^(١) ، (انظر : اللوحة رقم (٤) .

فتحت كارنتاك عام ١٠٠٩ هـ ، ١٦٩٨ م على يد النواب ذو الفقار علي خان . إلا أنه لم يتم تمكين الدولة الإسلامية فيها وتأسيسها حتى عام ١١٢٥ هـ ، ١٧١٣ م لما فتحت المقاطعة مرة أخرى على يد النواب سعادت الله خان وبقي حاكماً عليها حتى وفاته . ويعد سعادت الله خان المؤسس الحقيقي لهذه المملكة ^(٢) التي تعاقب على حكمها أولاده وأحفاده وأعضاء آخرون من أسرته من بعده (انظر : الجدول رقم : ٣) . أما آخر حاكم اعتلى عرش هذه المملكة فهو ظهير الدولة بن عظيم جاه (ت : ١٢٩٦ هـ ، ١٨٧٨ م) ، الملقب بأمير أركات ، الذي قام بتسليم زمام دولته وسيادتها إلى الشركة الهندية الشرقية في عام ١٢٧٢ هـ ، ١٨٥٥ م ^(٣) . وبهذا يسدل الستار التاريخي على الفصل النهائي لتلك الدولة المسلمة الواقعة في شبه القارة الهندية .

خلف حكام هذه المملكة المسلمة رموزاً معمارية تعكس حضارة مملكتهم وازدهارها . ومن ضمن إفرزاتها الحضارية الشاخصة حتى يومنا هذا أطلال لبعض المساجد والجوامع والتحصينات والقصور والأبراج ^(٤) .

محمد علي خان :

وفقاً للتسلسل التاريخي فإن الشخصية المذكورة بهذا النقش ، محمد علي خان ، يكون الحاكم السادس من بين أحد عشر حاكماً تسلموا دفعة حكم مملكة كارنتاك . ومحمد

(١) للمزيد من المعلومات حول جغرافية هذه المنطقة ، انظر :

Burton - Page, "Karnatak" Encyclopaedia of Islam, 1V, pp, 666 - 667.

Harrison, "Arcot" Encyclopaedia of Islam, 1, 624 .

(٢) انظر : كوكن ، محمد . دولة المغول في الهند ، (مدرا س ، بدون تاريخ) ص ٢٦٠ .

(٣) انظر على سبيل المثال : الحسني ، عبدالحفي . الهند في العهد الإسلامي - - (حيدر آباد ، ١٣٩٢ هـ) ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) كوكن . المغول ، ص ٢٦١ .

علي خان يكون ابناً لأنور الدين خان بن محمد أنور بن نعمة الله بن عبدالحفي العمري الكوياموي (انظر: اللوحة رقم (٥) . ومن المعتقد أن الأب عربي الأصل وينحدر من سلالة قبيلة مسلمة سكنت جنوب الهند تدعى النوائط ^(١) . وتشير المصادر المتاحة إلى أن الأب والابن اشتركا معاً في حملة عسكرية لإخماد بعض الفتن بالقرب من أركات عام ١١٥٧هـ ، ١٧٤٤م . وفي عام ١١٦٢هـ ، ١٧٤٨م تمكنت هذه الحملة العسكرية من مواجهة الجنود الفرنسيين بالقرب من مدينة أمبور ومحاربتهم . وعلى إثر هذه المعركة قتل الأب في ساحة المعركة وفر الابن ، محمد علي خان ، إلى مدينة تريشنبولي ^(٢) .

وبعد مرور حوالي ثلاثة سنوات على نهاية معركة أمبور (عام ١١٦٤هـ ، ١٧٥١م) تمكن محمد علي خان من العودة إلى أركات وتقلد حكمها حتى وافته المنية ، وبقي حكم مملكة كارنتاك وراثياً في أسرة محمد علي خان حتى عام ١٢٧٢هـ ، ١٨٥٥م ، بالرغم من بقاء إدارة الشؤون الإدارية للمقاطعة تحت تصرف الشركة الهندية الشرقية من بعد عام ١٢١٦هـ ، ١٨٠١م . اشتهر محمد علي خان بميوله السياسية القوية نحو بريطانيا حداً بلغ به إلى أن أمر بإعطاء الشركة الهندية الشرقية جميع إيرادات مملكته . وقد تمخض عن هذا التصرف غرق محمد علي خان في الديون المالية المتراكمة ^(٣) .

قام محمد علي خان ببعض الأعمال المعمارية في مملكته ومنها تشييده لقصره وقلعته ^(٤) . وسك عملته الخاصة به التي حملت اسمه ولقبه "الآجاه" ^(٥) . وعرف محمد

(١) راجع :

Burn, *The Cambridge history of India : the Mughul period*, (Delhi, 1963) p, 384,

Burton - Page, "Karnatak", EI, IV, p. 66.

(٢) كوكن ، المغول ، ص ٢٦٢ .

Burton - Page, "Karnatak", EI, IV, p. 667.

(٣)

Harrison, "Arcot" EI, I, p. 625.

(٤)

See, Mitchiner, M. *The World of Islam : oriental coins and their values*, (London, (٥)

1977) pp, 440 - 441.

علي خان بكرمه وحكمته وتقربه وتعبده لله سبحانه وتعالى . كما عرف عنه التزامه الشديد بتطبيق العدالة الاجتماعية بين رعيته ^(١) .

وبعد وفاة محمد علي خان في سنة ١٢١٠هـ ، ١٧٩٥م تولى ابنه ، عمدة الأمراء ، شؤون المملكة ؛ هذا وبالنظر إلى التاريخ المنفذ في نص هذا النقش الذي بين أيدينا (١٢١١هـ) يتضح أن عملية الترميم والتجديد لبئر السعدية نفذت بحوالي سنة بعد وفاة محمد علي خان . ولربما أن هذا العمل الخيري كان إنفاذاً لوصية شخصية تركها بعد مماته .

التحليل الفني للنص :

نفذ نص النقش باستخدام خط الثلث المزوق . ومن المعروف أن هذا النمط من الخطوط عرف واستخدم في العالم الإسلامي منذ العصر الأموي . ويندرج هذا الخط مع مجموعة أخرى من الخطوط تُعَوِّف على تسميتها بالأقلام الستة التي عادة ما تستخدم في كتابة النصوص المهمة كآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ^(٢) .

يلاحظ أن الكاتب (النقاش) قام بإخضاع جميع حروف وكلمات نص النقش إلى الأسلوب الخطي والأحكام الكتابية المضبوطة لقواعد تنفيذ خط الثلث . ومن هذه الأمور ما يلي :

أولاً : البسط اللين والانسيابي لأجسام الحروف .

ثانياً : استثمار كامل مساحة السطر المتوافرة .

ثالثاً : التقديم والتأخير في مواقع بعض الحروف والكلمات .

رابعاً : الربط والتداخل لبعض الحروف والكلمات مع ما جاورها .

خامساً : تنفيذ جميع النقاط في النص بالشكل الهندسي المعيني .

كما أن النص الكتابي يحتوي على مظاهر كتابية جذابة بالذكر ، وهي في الحقيقة صفات وسمات ثابتة لخط الثلث ولها أمثلة أخرى متكررة في النقوش والكتابات التي عثر

(١) الحسنی . الهند ، ص ٢٧٩ .

See, Safadi, Y. *Islamic Calligraphy* , (London, 1978) p, 52 .

(٢)

عليها في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية ^(١) . ومن هذه المظاهر الكتابية البارزة في النص ما يلي (انظر : اللوحة رقم (٧) :

الألف : (سطر : ١ ، ٢ ، ٣) : نفذ حرف الألف في موقع البداية ، بشكل عمودي ساقط باستقامة على مسار خط الكتابة ، وتم تنويجه بنبرة قصيرة .

الجيم : (سطر : ٣ ، ٤) : كتب حرف الجيم ، في موقع البداية ، بالإضافة إلى حرفي الحاء والحاء ، بصورة لوزية .

العين : (سطر : ٤ ، ٥) : يظهر هذا الحرف في موقع البداية برأس شبه مقفلة .

الميم : (سطر : ١ ، ٢) : نقش جسم حرف الميم في موقع النهاية ممتداً تحت مسار خط الكتابة.

الهاء : (سطر : ١ ، ٤ ، ٥) : تظهر الهاء في موقع النهاية بدون وجود قفلة لرأسها .

اللام ألف : (سطر : ٣) : نفذ هذا الحرف في موقع البداية بقاعدة شبه مستديرة يعلوها غصنا الحرف بصورة الرقم سبعة .

الياء : (سطر : ٤ ، ٥) : نفذ جسم الحرف ياء في موقع النهاية بشكل الرجوع العكسي إلى اليمين ومبسوط تحت مسار خط الكتابة .

ختاماً ، لا بد لنا من التنويه إلى أنه منذ بداية العصور الإسلامية الوسيطة فإن العرب المسلمين وخاصة أهل بلاد اليمن بدأوا بالهجرة إلى القارة الهندية بشكل عام وإلى بلاد الدكن على وجه الخصوص ، حيث كونوا هناك تجمعات عربية إسلامية . وهؤلاء المهاجرون وأحفادهم من بعدهم اعتادوا على دعم المشروعات الخيرية في العالم العربي والإسلامي ، ومن ذلك وضعهم الأملاك تحت تشريع الوقف الإسلامي وتأسيسهم للأربطة في الأماكن المقدسة ^(٢) .

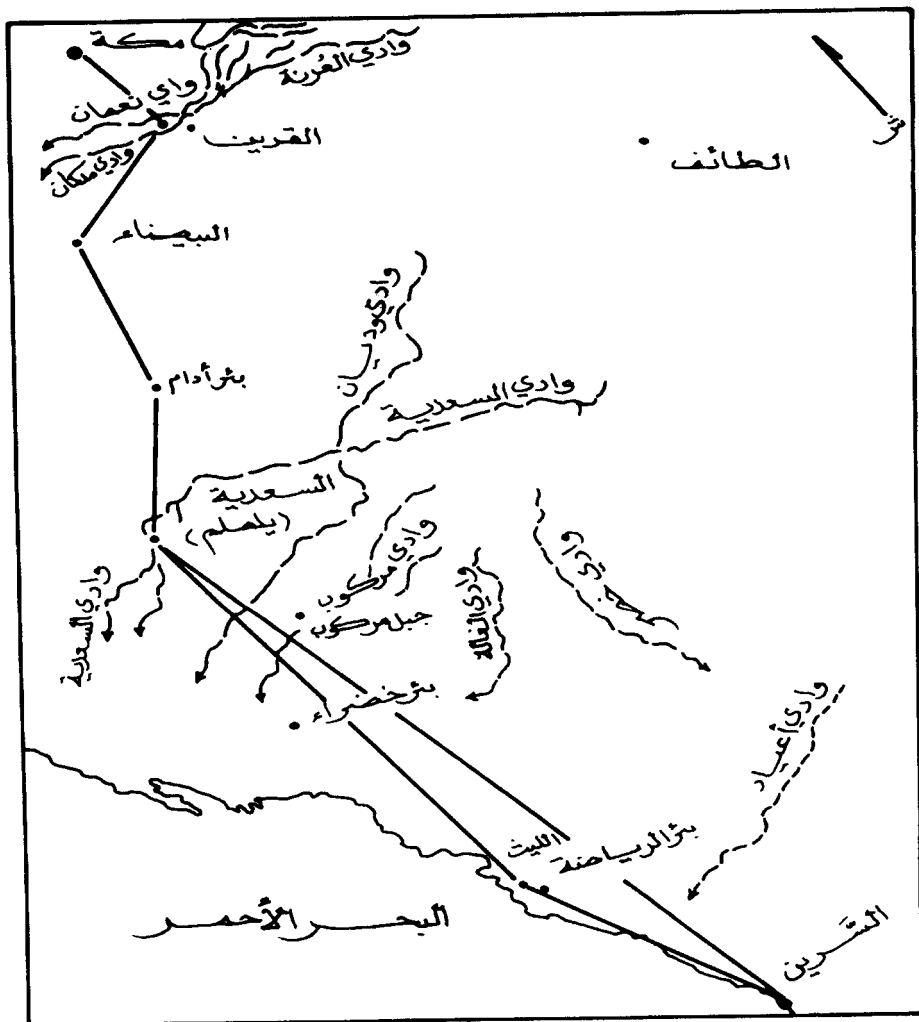
(١) انظر : غبان ، نقوش ، ص ٢٧ - ٤٦ . اللوحات : ٤ - ١١ .

See, Khalidi, O. "The Glory that was Hyderabad:, Dawn Magazine (Internet edition, (٢) 1988), p, 3f.

ولمزيداً من المعلومات التاريخية فيما يخص هذه الهجرات إلى القارة الهندية ، انظر :

Abdul Nayeem, M. "Arabs of Hadramaut and Hayderabad (India) relations during 18th - 20th centuries "al- Usur, 1V, (London, 1989) pp. 31 - 67 .

وما تجديد بئر محطة السعدية إلا دليل ساطع على تلك الجهود الحيرة من قبل الحكام المسلمين في الهند ، وعلامة بارزة تدل على الترابط الأخوي الإسلامي بين المسلمين قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها ، والعمل على وحدة المسلمين في العالم الإسلامي بصرف النظر عن الفوارق السياسية والجغرافية والمذهبية .



اللوحة رقم (١) ، خارطة توضح موقع محطة السعدية

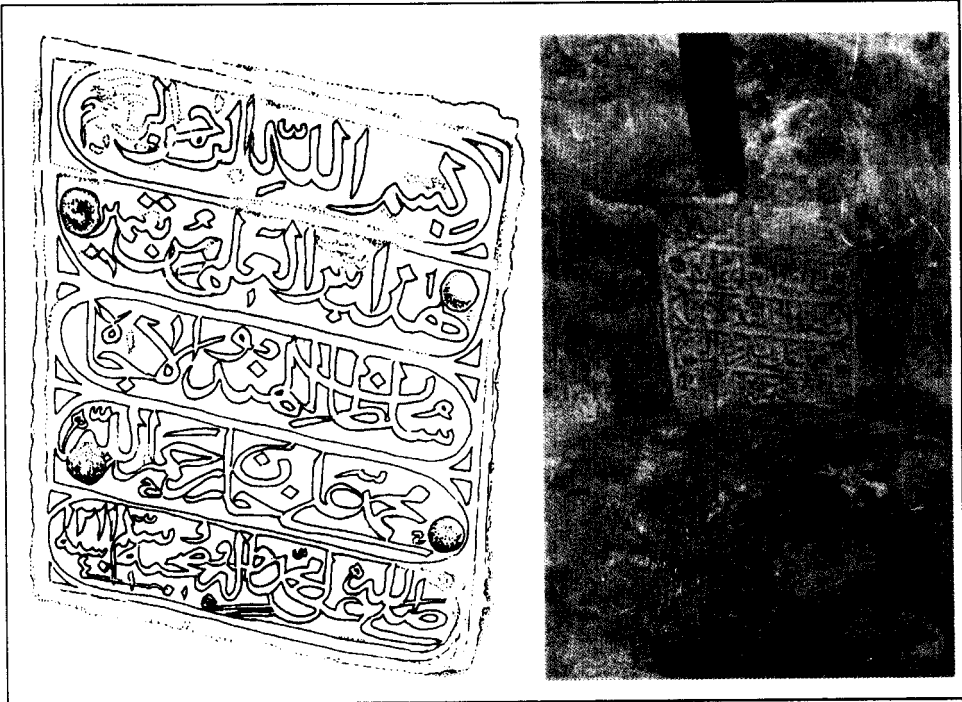
اللوحة رقم: (٢) ، جدول يوضح ورود المحطة في المصادر المبكرة المنشورة

اليقوي (ت ٢٨٤هـ)	الحرمي (ت ٢٨٥هـ)	ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ)	قدامة (ت ٣١٠-٣٢٠هـ)	الهمداني (ت ٣٣٤هـ)
مكة	مكة	مكة	مكة	مكة
ملكان	ملكان	ملكان	ملكان	ملكان
يللم	يللم	يللم	يللم	يللم
	مركوب		منزل	الحبال
				المفجر
الليث	الليث	الليث	الليث	السرين

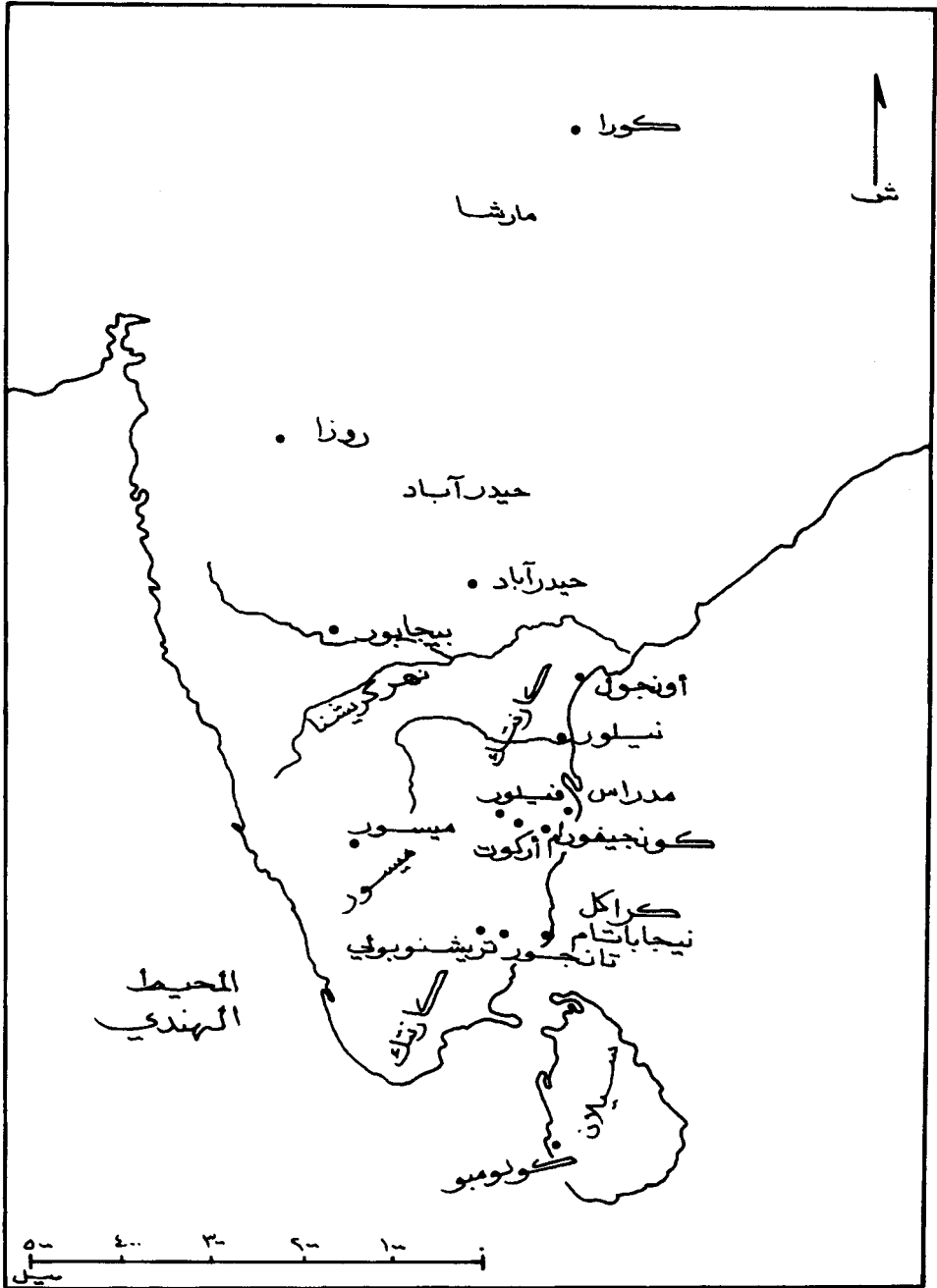
البكري (ت ٤٩٦هـ)	الإدرسي (ت ٥٤٨هـ)	عمارة (ت ٥٦٩هـ)	ابن المجاور (٦٠١-٦٩٠هـ)	الجزيري (ت ٩٥٠هـ)
مكة	مكة	مكة	مكة	مكة
منزل	ملكان	القرين	القرين	بئر علي
		البيضاء	البيضاء	
		إدام	أدام	البئر
يللم	يللم	يللم	وادي محرم	يللم
		الحيت		
		صبيخة الغراب		
		بئر الرياضة	الفرع	
السرين	منزل	السرين	السرين	الحسبة

اللوحة رقم : (٣) جدول يوضح ورود المحطة في المصادر المخطوطة

المندري (ت: ٤٧٨هـ)	ابن العباس (ت: ٧٤٢هـ)	مصطفى باشا (٩٧١هـ)	جنمان (ت: ١٢٦٢هـ)
مكة	مكة	مكة	مكة
منزل		بركة الماجد	
		البيضاء	البيضاء
	بئر علي	إيدم	
يلملم	يلملم	السعدية	السعدية
			المعبة
		ظهيرة	الحضر / الهضم
		خصب	
السرير	الليث	الليث	الليث



اللوحة رقم : (٤) ، النقش التجددي المؤرخ لبئر محطة السعدية



اللوحة رقم : (٥) ، خارطة لمملكة كارتناك الهندية المسلمة

اللوحة رقم : (٦)

جدول تسلسلي يوضح حكام مملكة كارنتاك الهندية

١ - النواب ذو الفقار على خان نصرت جنك . فتح مقاطعة كارنتاك عام ١٠٠٩ هـ ،
١٦٩٨ م .

٢ - النواب سعادت الله خان (ت : ١١٤٥ هـ ، ١٧٣٢ م) . فتح المقاطعة مرة أخرى عام
١١٢٥ هـ ، ١٧١٣ م وحكمها لمدة عشرين سنة .

٣ - دوست علي خان ، حكم المملكة لمدة تقارب من الثماني سنوات (حتى عام ١١٥٣ هـ ،
١٧٤٠ م) .

٤ - صفدر علي خان . حكم المملكة حتى قتل عام ١١٥٥ هـ ، ١٧٤٢ م .

٥ - أنور الدين خان بن محمد أنور بن نعمة الله بن عبدالحفي العمري الكوياموي : بداية
ولايته عام ١١٥٧ هـ ، ١٧٤٤ م وقتل سنة ١١٦٢ هـ ، ١٧٤٨ م .

٦ - محمد علي خان (ولد أنور الدين) ت : ١٢١٠ هـ ، ١٧٩٥ م . (صاحب النقش) .

٧ - عمدة الأمراء (ولد محمد علي خان) ت : ١٢١٦ هـ ، ١٨٠١ م .

٨ - تاج الأمراء حسين علي خان ت : ١٢٣٤ هـ ، ١٨١٨ م .

٩ - أعظم جاه (ولد تاج الأمراء) ت : ١٢٤١ هـ ، ١٨٢٥ م .

١٠ - محمد غوث (ولد أعظم جاه) ت ١٢٧٢ هـ ، ١٨٥٥ م .

١١ - ظهير الدولة (ولد عظيم جاه) ت : ١٢٩٠ هـ ، ١٨٧٣ م . (ويكون عمّاً لمحمد غوث)

ت : ١٢٩٦ هـ ، ١٨٧٨ م : ويدعى عادة أمير أركات .

المصدر للجدول الزمني لحكام مملكة كارنتاك الهندية : الحسيني ، السيد عبدالحفي

ابن فخر الدين ، الهند في العهد الإسلامي - (حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م)

ص : ٢٧٨ - ٢٨٠ . انظر ، أيضاً : كوكن ، محمد يوسف . دولة المغول في الهند -

(مدراس ، بدون تاريخ) ص : ٢٦٠ - ٢٦٢ .

حروف الأبجدية	البدائية	الوسط	النهائية
أ	ا	ا	ا
ب	ب	ب	ب
ت	ت	ت	ت
ج	ج	ج	ج
ح	ح	ح	ح
خ	خ	خ	خ
د	د	د	د
ذ	ذ	ذ	ذ
ر	ر	ر	ر
س	س	س	س
ص	ص	ص	ص
ط	ط	ط	ط
ع	ع	ع	ع
ل	ل	ل	ل
م	م	م	م
ن	ن	ن	ن
هـ	هـ	هـ	هـ
و	و	و	و
ز	ز	ز	ز
ي	ي	ي	ي

اللوحة رقم : (٧) ، جدول يوضح أشكال الحروف

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

- ابن عباس ، الأشرف أبو العباس إسماعيل .
كتاب فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفن في أخبار من ملك اليمن ، مكتبة جون رايلاندز الجامعية في مدينة مانستر (إنجلترا) ، رقم (١٩) ٢٥٣ .
باشا ، مصطفى .
منازل الحج من الشام إلى مكة : ترجمة : حسين بن ملا شمس -٠ المدينة المنورة : مكتبة عارف حكمة ، رقم : ٢٨٦ .
جفمان ، إسماعيل بن حسين هادي .
كتاب نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور -٠ صنعاء : مكتبة الجامع الكبير ، رقم : ٢ .
العذري ، أحمد بن عمر بن أنس .
منازل الحجاز -٠ القاهرة : معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، رقم : ٢/٣٤٨٦ .

ثانياً : الكتب والمقالات المنشورة :

- الإدريسي ، أبو عبدالله محمد .
كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق -٠ (روما ، ١٩٧٠م) .
الأصفهاني ، الحسن بن عبدالله .
بلاد العرب؛ تحقيق : حمد الجاسر، وصالح العلي -٠ (الرياض، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م) .
الأعظمي ، محمد حسن .
المعجم الأعظم ، ٥ مجلدات -٠ (كراتشي ، ١٩٤٦م) .
ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله .

- كتاب المسالك والممالك ؛ تحقيق : دي غوية - (لیدن ، ١٨٨٩م) .
- ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب .
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة تاريخ المستبصر ؛ تحقيق : أوسكار لوفجرين ، مجلدين - (لیدن ، ١٩٥١م) .
- ابن منظور ، أبو الفضل محمد .
- لسان العرب ، ١٥ مجلداً - (بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ) .
- الباشا ، حسن .
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار - (القاهرة ، ١٩٧٨م) .
- البكري ، أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز .
- معجم ما استعجم ، ٤ مجلدات ؛ تحقيق : مصطفى السقا (القاهرة ، ١٩٤٩م) .
- _____ .
- الممالك والمسالك ؛ تحقيق عبدالله الغنيم - (الكويت - ١٣٩٩هـ ، ١٩٨٠م) .
- البلادي ، عاتق بن غيث .
- معالم مكة التاريخية والأثرية - (مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م) .
- البلادي ، عاتق بن غيث .
- بين مكة واليمن - (مكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) .
- _____ .
- معجم معالم الحجاز ، ١٠ مجلدات - (مكة المكرمة ، ١٣٩٨ - ١٤٠٤هـ ، ١٩٧٨ - ١٩٨٤م) .
- الجاسر ، حمد .
- في شمال غرب المملكة - ط ٢ - (الرياض ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م) .
- الجزيري ، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر .

ددر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، مجلدين ؛ تحقيق : حمد

الجاسر - (الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) .

الحري ، إبراهيم بن إسحاق .

كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ؛ تحقيق : حمد الجاسر - ط ٢ -

(الرياض ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) .

الحسني ، عبدالحفي بن فخر الدين .

الهند في العهد الإسلامي - (حيدرآباد - الدكن ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) .

زيارة ، محمد بن محمد بن يحيى .

نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، مجلدين - (القاهرة ،

١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ) .

شوكت ، إبراهيم .

"ديار العرب من أنس المهج للإدرسي" الحولية العراقية العلمية ، العدد ٢١ -

(بغداد ، ١٩٧١ م) ص ٦٠ - ٧٣ .

عمارة ، نجم الدين بن علي الحكمي .

تاريخ اليمن ، المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزيد ؛ تحقيق : محمد الأكوخ -

ط ٣ - (صنعاء ، ١٩٨٥ م) .

العمرى ، أحمد بن يحيى بن فضل الله .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ؛ تحقيق :

أيمن فؤاد سيد - (القاهرة ، ١٩٨٥ م) .

غبان ، علي بن إبراهيم .

نقش من شبه جزيرة سيناء - (الرياض ، ١٩٩١ م) .

• _____ .
"نقش غير منشور من بلدة المويلح" دراسات في الآثار - (الرياض ، ١٩٩٢م) ،

ص: ٣٠٥ - ٣٣٠ .

• _____ .
شمال غرب المملكة العربية السعودية : بحوث في التاريخ والآثار - (الرياض ، ١٩٩٣م).

• _____ .
«النقوش العثمانية الباقية على عمائر طريق الحج الشامي والمصري في شمال غرب المملكة» أعمال المؤتمر الثاني لمدونة الآثار العثمانية في العالم - (تونس ، ١٩٩٨م) ،
ص ٢٠١ - ٢٢٢ .

قدامة ، بن جعفر البغدادي .

نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ؛ تحقيق : دي غويه - (ليدن ، ١٩٦٧م) .

كوكن ، محمد يوسف .

دولة المغول في الهند - (مدراس - بدون تاريخ) .

محمود ، مهدي السيد .

الخط العربي - (القاهرة ، ١٩٨٧م) .

النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد .

البرق اليماني في الفتح العثماني؛ طبع تحت إشراف حمد الجاسر - (الرياض ، ١٩٨٨م).

صفة جزيرة العرب ؛ تحقيق : محمد الأكوع - (الرياض ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م) .

ياقوت ، أبو عبدالله الحموي .

معجم البلدان ، ٥ مجلدات - (بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧م) .

ثالثاً : المصادر الأجنبية :

ABDULNAYEEM, Muhammed,

‘Indo-Arabian cultural relations during third-second millennium B. C. al-Usur, III/I, 6-24 (London, 1988) .

Idem,

‘Arabs of Hadramaut and Hyderabad (India) relations during 18th- 20th centuries’, **al-Usur**, IV/2,31-67 (London, 1989) .

BRICE, William C. (ed),

An Historical atlas of Islam, (under the patronage of the Encyclopaedia of Islam), (Leiden, 1981) .

BURN, Richard,

The Cambridge history of India: the Mughul Period, IV, planned by Sir Wolseley Haig, ed R. Burn, (Delhi, 1963).

BURTON-PAGE, J.

‘Karnatak’,

Encyclopaedia of Islam. new ed., IV, 667.

GRENVILLE, Rreeman

The Muslim and Christian Calendars. (London, 1963) .

HARRISON, J. B.

“Arcot (Arkat)”, **Encyclopaedia of Islam**, new ed. 1, 624-625.

HOFTIJZER, J. & JONGELING, K.

Dictionary of the North-west Semitic Inscriptions. 2pts, (Leiden, 1995).

KHALIDI, Omar

“The Glory that was Hyderabad”,

Dawn Magazine (Internet edition,), 20th Sept. 1998, pp. 1-6.

MITCHINER, Michael

The World of Islam: oriental coins and their values, (London, 1977).

SAFADI, Yasin

Islamic Calligraphy, (London, 1978).

al-THENAYIAN, Mohammed A. R.,

An Archaeological Study of the Yemeni Highland Pilgrim Route Between San’a’ and Mecca, 2 vols., (unpublished Ph. D. thesis, University of Durham, 1993).

Idem,

‘Yemeni Highland Pilgrim Route Between San’a’ and Mecca: its history and archaeology’, *Aram*, VIII/ 1&2 (1996), 1-13.

al-ZAYLA’I, Ahmad b.’ Umar

The Southern Area of the Amirate of Mecca, 3rd-7th/9th-13th centuries): its history, archaeology, and epigraphy, (unpublished Ph. D. thesis, University of Durham, 1983).